

## العوامل الحجاجية وروابطها في التمثيلات النبوية

*The Argumentative operators and the connectors in the representation in the discourse of the Prophet*

طالبة الدكتوراه: زقنون نصيرة

إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحليم بن عيسى

جامعة أحمد بن بلة 1 - وهران

البريد الإلكتروني: zegnoun31@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/12/12

تاريخ القبول: 2019/12/08

تاريخ الإرسال: 2019/04/12

الملخص:

تسعى هذه الدراسة للكشف عن الآليات اللغوية الكامنة في الخطاب النبوي باعتباره خطابا حجاجيا؛ يوفر طاقة حجاجية قادرة على إثارة المتلقي وشغل تفكيره، فقد اعتمد النبي "صلى الله عليه وسلم" بفطرته على التمثيل كوسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المسلمين من جهات عدّة، فهو ينقل العقل من المعنى في الحالة التصويرية العادية إلى الحالة التصديقية، لأنّه بمثابة المحرك للنفس. ولما كانت غاية الرسول "صلى الله عليه وسلم" هي التبليغ والتأثير في المسلمين، نجده "صلى الله عليه وسلم" يتفنّن في صياغته للتمثيل معتمدا على أحدث تقنيات الحجاج على رأسها الروابط والعوامل الحجاجية التي تتدخل في توجيه دلالات الحجاج في الكلام، وتحمل المتلقي على الاستنتاج.

ويشترط لسلامة العملية الحجاجية الربط بين الحجة والنتيجة بمؤشرات؛ تقوم بحصر الإمكانيات الحجاجية بالربط بين قولين أو حجتين أو أكثر، وهذا ما سنحاول الوقوف عنده بالتطرق إلى بعض الروابط والعوامل التي بُني عليها الخطاب النبوي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج - الروابط - العوامل - التمثيل - الإقناع.

*This study seeks to reveal the linguistic mechanisms inherent in the prophetic discourse as a pilgrim discourse; it provides pilgrim energy capable of provoking the recipient and filling his thinking. The prophet "that salvation be with him" sees representation as an argumentative means, with influences on Muslims from many directions, as it transmits The mind, from meaning in the ordinary pictorial state to the authentic state, is because it acts as the motor of the soul. Whereas the purpose of the Messenger, may God bless him and grant him peace, was reporting and influencing Muslims, we find him, "may God bless him and grant him peace," elaborate in his formulation of representation, relying on the latest pilgrim technologies, on top of which are the bonds and pilgrimage factors that interfere in guiding the connotations of pilgrims to speak, and Bear the receiver to the conclusion.*

*The integrity of argumentative means process is required to link the argument and the outcome with indicators; it limits the argumentative means by linking two or two arguments or more, and this is what we will try to stand with by examining some of the links and factors upon which the prophetic discourse was built.*

*The keywords: the argument- the connectors- the operator – the representation –the persuasion*

## مقدمة:

تعد الروابط الحجاجية المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر في بنية اللغة نفسها، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، فهي تحوي عددا كبيرا من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية<sup>1</sup>، بحيث يمكن أن نذكر منها ما يلي: بل، لكن، إذن، لاسيما، حتى، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي<sup>2</sup>...

لقد اقترح ديكرودucrot وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلا للوصف التقليدي، فبالنسبة لـ "حتى" "même" ليس دورها منحصرا في أن تضيف إلى المعلومة "جاء زيد" في القول "حتى زيد جاء" معلومة أخرى "مجيء زيد غير متوقع"، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية.<sup>3</sup>

يبدو أن هناك اختلافا بين مدلول العامل والرابط؛ «فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا موصل فوضوي، فهو بهذا يحمل المكونات داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتحما، أما الرابط فهو الذي يربط بين فعلين لغويين اثنين، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالا لغوية»<sup>4</sup>، والفرق إذن بين الرابط والعامل الحجاجي واضح، فالأول هو ما يربط بين جملتين مع وجود اختلاف في الاحتمالات المترتبة عنهما، أما العامل فهو ما يجمع بين ملفوظين اثنين في الجملة الواحدة.

إنّ الاهتمام بالروابط والعوامل الحجاجية في التمثيل النبوي ضمن هذا المقال دفعنا إلى البحث فيه من منطلق جملة من الأسئلة شكّلت الإشكالية وفق الشكل الآتي: ما هي دلالة الروابط والعوامل في الدراسات اللغوية؟ وفيما تكمن قوتها الحجاجية في التمثيلات النبوية؟

## 1-1- العوامل الحجاجية Les opérateurs:

إنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية، ولكنها تقوم «بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما»<sup>5</sup>، فالعامل الحجاجي هو "صريفة" (مورفيم) إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.<sup>6</sup>

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر نعرض المثالين الآتيين:<sup>7</sup>

1- الساعة تشير إلى الثامنة.

2- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا...إلا" وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثاليين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول؛ أي الإمكانيات الحجاجية التي تتيحها، فإذا أخذنا القولين التاليين:

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

فنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا ويتطلب سياقًا خاصًا حتى نستطيع تأويله.

وإذا عدنا إلى المثال السابق "الساعة تشير إلى الثامنة"، فسنجد له إمكانيات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار...

وبعبارة أخرى فهو يخدم نتيجة من قبيل: "أسرع"، كما يخدم النتيجة المضادة لها لا تسرع، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي "لا...إلا" فإن إمكانياته الحجاجية تقلصت وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع.

يمكننا استنباط العوامل الحجاجية التي اعتمد عليها النبي "صلى الله عليه وسلم" في تمثيلاته وفق الشكل الآتي:

#### 1-1-1- العامل الحجاجي: "ما ... إلا/ لا.... إلا"

من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين "ما ... إلا" في ترتيب الحجج في سلم واحد؛ إذ أن "ما ... إلا" عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه<sup>8</sup>، فهو من طرق القصر في اللغة العربية والذي يعتبر صورة من صور التراكيب التي تأتي للإثبات، ويزيد القصر على قيمة الإثبات بالتخصيص؛ أي أنه يخصص صفة معينة بموصوف معين، يقول أبو البقاء الكفوي في هذا الشأن (ت1094هـ): «والقصر في الاصطلاح جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت إسنادية أو غيرها مخصوصا بالآخر بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة»<sup>9</sup>، فهو بذلك من أعظم التقنيات التي تعمل على دحض الريب و المغالطة.

ويوجه أسلوب القصر إلى ثلاثة أصناف من المخاطبين:

- مخاطب يعتقد رأياً مخالفاً.
- مخاطب شاك في الرأي المقدم له.
- ومخاطب يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم<sup>10</sup>.

للقصر طرفان هما المقصور والمقصور عليه، واعتماد أداة النفي مع الاستثناء يخص أحد الطرفين على الآخر، وبذلك يكون القصر في الحجج بمثابة تقديم التدعيم (الحجة) والنتيجة داخل سلم حجج تنازلي، وفق الشكل التالي:

أداة النفي ← نتيجة ← أداة الاستثناء ← تدعيم وحج

هذا التدعيم المعتمد عن طريق القصر، يأخذ مرتبة البرهان الذي لا يردّ ولا يدحض، ويجعل ذهن المتلقي محصوراً بين هذا التدعيم وتلك النتيجة المقصودة، دون النظر إلى احتمالات أخرى، وبخاصة بأنه يرد بعد الاستثناء، فيبرز الجانب التداولي لأداة الاستثناء في القصر داخل سلم الحجج كونها مقدماً للحجج والتدعيمات.

و بالعودة إلى الأحاديث النبوية نجدتها تضمنت بعض الأمثلة عن القصر بالعوامل الحججية "ما...إلا" و"لا...إلا" من ذلك قوله "صلى الله عليه وسلم": ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِجُ الْبَيْمَةَ بَبَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءِ﴾<sup>11</sup> ،<sup>12</sup> يمكننا التمثيل لهذا الحديث الذي اشتمل على العامل الحجج "ما...إلا" وفق السلم الحجج الآتي:

ما ← من مولود ← إلا ← يولد على الفطرة

وجّه هذا العامل الحجج التمثيل الذي بين أيدينا إلى وجهة واحدة مثبتة ومخصصة، مفادها أنّ الله عزّ وجل لا يخلق ابن آدم وهو يعرف عقيدته أو أصله، إنّما خلقه وهو مجبول بالفطرة، ولوالديه الأثر في جعله يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، وما يمكننا لمسه من استخدام النبي "صلى الله عليه وسلم" لهذا العامل الحجج هو زيادة القوة الحججية لتأكيد وإثبات التمثيل بما تنتجه البهيمّة أيضاً.

وفي قوله أيضاً "صلى الله عليه وسلم": ﴿لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ، إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ﴾<sup>13</sup> ، استخدم "صلى الله عليه وسلم" أيضاً العامل الحجج "لا...إلا" بأداة النفي لا لأغراض أخرى، يمكننا تمثيلها بالسلم الآتي:

لا ← يكيد أهل المدينة أحد ← إلا ← انماع كما ينماع الملح في الماء.

زاد العامل الحجاجي في قوة التمثيل الذي صاغه النبي "صلى الله عليه وسلم"؛ فعمل على إبعاد الريب من أذهان السامعين بأنّ من حاول التعدي على أهل المدينة فإنّه ليس لذلك صورة إلاّ كصورة الملح الذي يذاب في الماء، وفي هذا تصوير دقيق لحال كل من تعدى على أهل المدينة، حيث شبّه "صلى الله عليه وسلم" أهل المدينة لوفور علمهم، وصفاء قرائحهم بالماء، وشبّه من يريد بهم كيدا وسوءا بالملح. فعقابه يوم القيامة أنّ الله يُذيبه في التّار كما يذوب الملح في الماء لشدة سهولة عملية الذوبان هذه.

### 1-1-2- العامل الحجاجي: "إنّما":

ومن العوامل الحجاجية "إنّما" وتفيد معنى القصر، والسبب في ذلك هو تضمينه معنى العامل "ما...إلاّ" ويرى أئمة النحو أنّ: «إنّما تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه»<sup>14</sup>؛ فما يلاحظ على هذا العامل الحجاجي أن الحجج التي تأتي بعده تكون أقوى من الحجج التي تأتي قبله.

في حين يلتفت عبد القاهر الجرجاني إلى هذا العامل مميزه عن العامل الحجاجي السابق الذكر (ما...إلاّ أو لا...إلاّ) قائلا: «واعلم أن موضوع "إنّما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة. تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنّما هو أخوك، وإنّما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقربه، إلا أنك تريد أن تنميه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة صاحب(..). وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلاّ كذا" و"إن هو إلاّ كذا" فيكون الأمر ينكر المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: "ما هو إلاّ مصيب" أو "ما هو إلاّ مخطئ" قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلاّ زيد، لم تقله إلاّ وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار وأن يكون زيد»<sup>15</sup>، والذي ظهر لنا من الفرق بين الاستعماليين هو وجود سياقين مختلفين يقتضيان هذا الفرق. ويبدو أن هذا الاختلاف بين المقامين ليس اختلافا متعلقا بمكونات المقام من ظروف وملابسات، وإنما هو اختلاف في معارف المخاطبين؛ إذ هما يشتركان في معرفة بعض الملابس، ولكنهما يختلفان في معرفة بعضها الآخر.

وللتوضيح أكثر نلاحظ العبارتين الآتيتين:

(1)- إنّما المتنبي شاعر.

(2)- ما المتنبي إلاّ شاعر.

كلا العبارتين من نوع قصر الموصوف على الصفة، إذن فأصل المعنى فيها كون المتنبي شاعرا وحسب، إلا أن الاختلاف بينهما يقودنا إلى تصور مقامين اثنين تغدو الزيادات فيهما إلاّ ثانيا على معنى إضافي، أو معنى آخر:

ففي العبارة (2) نتصور أن المتكلم والمخاطب يعلمان كون المتنبي شاعرا، ولكن المتكلم يريد تنبيهه المخاطب إلى هذا الأمر، وتأكيده في نفسه أثناء المحاوره، ربما منعنا له عن تصور المتنبي فيلسوفا أو نحويا أو فقيها، والأغراض والمقاصد التي يمكننا استخراجها من العبارة (2) متعددة تعدد اللوازم الممكنة فيها.

بينما في العبارة (1) نتصور أن المتكلم والمخاطب في سياق تحاور وجدال، ويظهر لنا من خلاله أولا إنكار المخاطب كون المتنبي شاعرا، وثانيا محاولة المتكلم إقناعه في استعمال القصر بالنفي والاستثناء أن المتنبي شاعر، ففي هذا المقام يكون استعمال القصر مفيدا لعدد من اللوازم الممكنة أيضا، والتي يقتضيهما السياق، والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن اللوازم الممكنة لأي ملفوظ في سياق تواصل لا يمكن أن تكون متعددة بالنسبة للمتلقى، إذ أنه لا يفتأ يلجأ إلى القيود السياقية والمقتضيات المقامية والمبادئ الخطابية من أجل استخلاص اللوازم التي تخدم إدراك الفائدة الإخبارية والغرض التواصلية من هذا القول.<sup>16</sup>

ورد في قوله "صلى الله عليه وسلم" استخداما للعامل الحجاجي "إنما" عندما قال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَأْكُلُ قَيْئَهُ﴾<sup>17</sup>، أراد النبي "صلى الله عليه وسلم" أن يقنع المسلمين على عدم العودة فيما تصدقوا به لغيرهم بصياغته لأبشع الصور التي يكون فيها الكلب، وهي حين يقىء ثم يأكل ما قىئه، فزاد العامل الحجاجي "إنما" من قوة هذا التمثيل بالإثبات والتأكيد على الانتهاء على الاتيان بمثل هذا العمل المخلل للأخلاق والتعاملات في الشريعة الإسلامية.

وتدخل "إنما" على المعاني التي هيأت لها الجمل السابقة لها كما قال "صلى الله عليه وسلم" في حديثه: ﴿مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾<sup>18</sup>؛ فقد ذكر "صلى الله عليه وسلم" أنواع الأرض التي استقبلت غيث السماء، فكان منها نقيه قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاً.

وبعد أن ذكر "صلى الله عليه وسلم" الأرض النقيه ثم الأجادب لم يبق من أنواع الأرض سوى القيعان فأدخل على جملتها "إنما" لأن هذا النوع صار في حكم المعاني المأنوسة التي تكاد النفس تدركه لإشارة ما قبله عليه، فكان دور العامل ههنا التذكير والتأكيد.

وما يمكن ملاحظته من خلال هذا التحليل، أن العوامل الحجاجية لها الدور الكبير في شحن التمثيلات النبوية بقوة حجاجية تزيد من تركيز السامع وتعمل على جذبته للتفكير والاستقراء قصد الوصول إلى المعنى الصحيح دون لبس أو خطأ كما رسمه النبي "صلى الله عليه وسلم" في ذهنه.

## 2-1- الروابط الحجاجية Les connecteurs:

الرابط الحجاجي في أبسط تعريفاته هو «كل لفظ يمكن من ربط قضيتين، أو جملتين، أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة»<sup>19</sup>، وهذه الجمل هي التي تشكل بنية النص الحجاجي. فالرابط الحجاجي إذن هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة<sup>20</sup>، فإذا أخذنا المثال التالي: زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان؛ فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح) والرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما.

للروابط الحجاجية دور فعال يتمثل في «ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصيل مواضع الحجج، بل وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى، انطلاقاً من أنه عندما يكون تحت تصرفنا عدد من المعطيات، فإننا نمتلك إمكانات هائلة، لنتمكن من الربط بينها... ويعد الاختيار من بين الروابط الخطابية مهم بقدر أهميته التصنيفات، أو في الصفات»<sup>21</sup>.

وقد تعددت الروابط الحجاجية بتعدد دورها ومهامها داخل البنية النصية، وفي هذا المجال ميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها:<sup>22</sup>

أ- الروابط المدرجة للحجج: حتى - بل - لكن - مع ذلك - لأن ... والروابط المدرجة للنتائج: إذن - لهذا - وبالتالي

ب- الروابط التي تدرج حججاً قوية: حتى - بل - لكن - لا سيما...

ج - روابط التعارض الحجاجي: بل - لكن - مع ذلك ... وروابط التساوق الحجاجي: حتى - لا سيما...

وسنحاول في هذا المجال التعرض إلى بعض الروابط المنطقية التي اعتمد عليها النبي "صلى الله عليه وسلم" لشحن تمثيلاته بقوى حجاجية تعمل على إقناع السامع وإبعاده عما ينعت باللبس أو الشك، معتمدين في ذلك على الإشارة إلى المعنى النحوي والتداولي الحجاجي لكل رابط على حدة.

## 1-2-1- الرابط الحجاجي: "لكن":

حرف مشبه بالفعل، من أخوات "إنَّ"، يدخل على الجملة الاسمية، فينصب المبتدأ اسما له، ويرفع الخبر خبرا له، وتفيد "لكنَّ" معنى الاستدراك، وهو «تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه»<sup>23</sup>؛ أي أنها تستعمل لتدارك خبر تقدم، كما «تنسب "لكنَّ" لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها»<sup>24</sup>.

وفي تعريف آخر: «ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلبا وإن إيجابا، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظا به أو مقدر (...) ولا تقع "لكنَّ" إلا بين متنافيين، بوجه ما ....»<sup>25</sup>.

وهذا يوضح أن المرسل يستدرك بها بعد نفي أو نهي، مثل:

- لماذا تكذب عند التحقيق معك؟

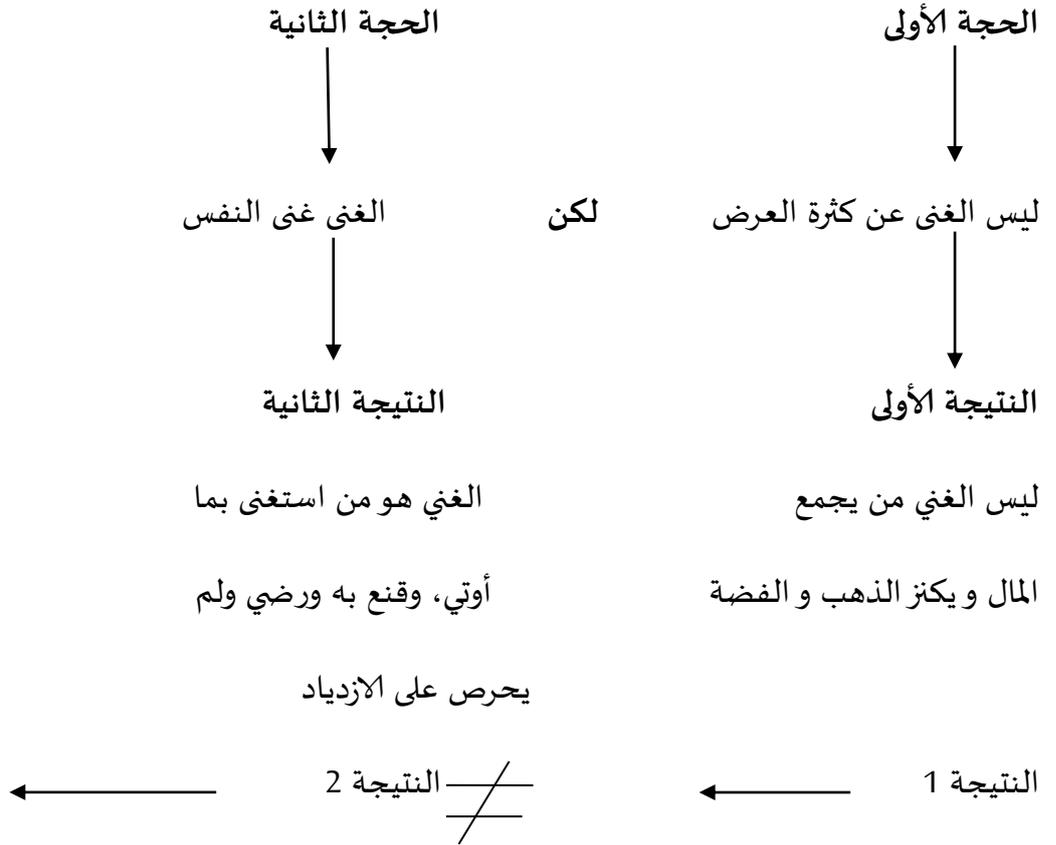
- ما كذبت لكني احتلت في كلامي.

إذ عمد إلى نفي الكذب أولا ثم ارتقى بحججه درجة وهي إثبات الحيلة<sup>26</sup>.

وتقارن "ديبورا شيفرن *deborah schiffryn* الأداة "لكنَّ" بحرف الواو في قولها: «بالرغم من أن "لكنَّ" هي من أدوات تنسيق الخطاب، إلا أن لها وظيفة تداولية مختلفة، وهي أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضادا، ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو (...) إذ لا تنسق "لكنَّ" بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعضا من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي»<sup>27</sup>؛ ولذا نجد "لكنَّ" في الحجاج تستعمل كمؤشر حال للاحتياط والتحفظ على النتيجة، فيكون غالبا ما بعدها من احتياط وتحفظ مؤديا إلى نتيجة مناقضة وداحضة لنتيجة سابقة في نسبة الحجاج، إضافة إلى أن الحجة في النتيجة الثانية تكون أقوى منها في النتيجة الأولى.

ومثال هذا قوله "صلى الله عليه وسلم": ﴿لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ﴾<sup>28</sup>، ففي هذا الحديث الشريف نجد "لكنَّ" الواردة فيه هي: "لكنَّ الحجاجية"، إذ هناك تعارض حجاجي بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، فمن يرض بما قسم الله له يكن أغنى الناس، أي يقنع بنصيبه في الدنيا، وفي هذا بيان لحقيقة الغنى، إذ ليس الغنى عن كثرة العرض من مال وعقار أو ادخار للثروات، ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

ويظهر لنا دور "لكنَّ" الحجاجي من خلال التمثيل الآتي:



فالرابط الحجاجي " لكن " جعل الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى لذا فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة الثانية، وهي نتيجة داخضة و مناقضة للنتيجة الأولى.

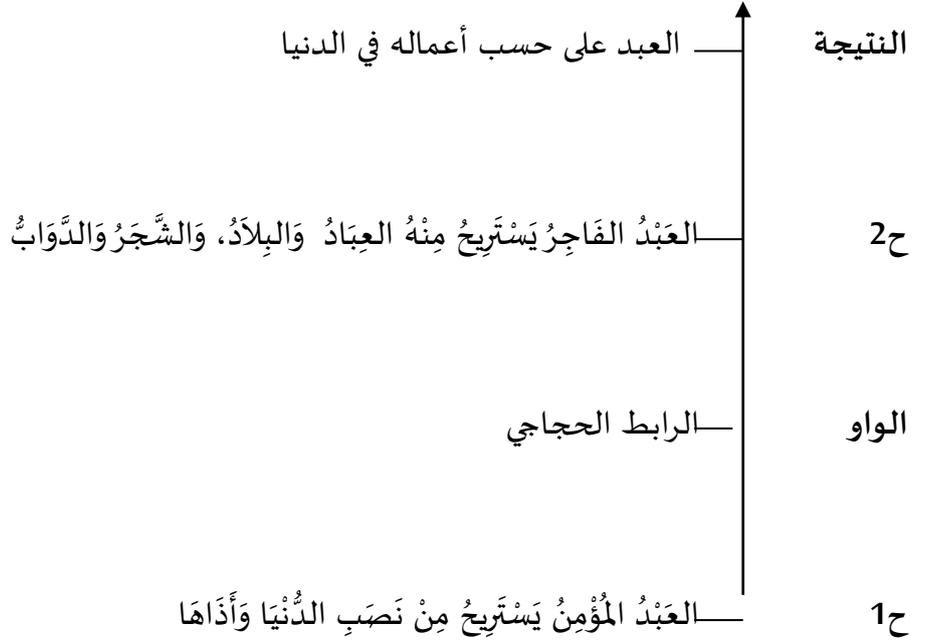
#### 1-2-2-1- الرابط الحجاجي: " الواو ":

يعد " الواو " من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب؛ بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، ف" الواو " إذن هو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة أو المتساندة. ويستعمل " الواو " حجاجيا وذلك بترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي.<sup>29</sup>

ومن أمثلة ذلك في الأحاديث النبوية قوله " صلى الله عليه و سلم " : ﴿ مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: « الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ ﴾<sup>30</sup>؛ فالرابط الحجاجي " الواو " - هنا - قام بالوصل بين الحجة والأخرى، كما قام بترتيب هذه الحجج لتقوية النتيجة وتدعيمها، فالحجج جاءت متسقة مترابطة غير منفصلة، كل حجة تساند وتقوي الحجة الأخرى، وهذه الحجج في الحديث هي، أن من توفي من الناس على ضربين: ضرب يستريح، وضرب يُستراح منه، فالمستريح هو العبد المؤمن يصير إلى رحمة الله وما أُعِدَّ له من الجنة والنَّعمة، ويستريح من نصب الدنيا وتعبها وأذاها والمستراح منه هو العبد الفاجر،

فإنَّه يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب، ويحتمل أن يكون أداه للعباد بظلمهم، وأذاه للأرض والشجر بغصها من حقها وصرفها إلى غير وجهها، وإتاعب الدواب بما لا يجوز له من ذلك، فهذا مستراح منه.

ويمكن تمثيل هذا المسار الحجاجي بالشكل الآتي:



### 1-2-3-الرباط الحجاجي: "الفاء":

تعدّ الفاء" من الروابط الحجاجية، لها الوظيفة نفسها التي يؤديها الرباط الحجاجي "الواو"، إذ يقوم بدور الجمع بين الحجج، ويقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فهو رباط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة والمتساندة.

و"الفاء" من الروابط الحجاجية التي تكثرت في الأحاديث النبوية، وسنكتفي بدراسة بعض الأمثلة.

يقول رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في كلامه عن الإسلام: ﴿بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ﴾<sup>31</sup>؛ فالإسلام بدأ غريباً في مكة لم يؤمن به إلا القليل، وأكثر الخلق عادوه وعاندوا النبي "صلى الله عليه وسلم"، ثم انتقل المدينة مهاجراً وانتقل معه من قدم من أصحابه، وكان غريباً أيضاً حتى كثر أهله في المدينة وفي بقية الأمصار، ثم دخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن فتح الله على نبينا مكة "عليه الصلاة والسلام". فأوله كان غريباً بين الناس، ثم هدى الله من هدى على يد رسوله محمد "صلى الله عليه وسلم" وعلى يد أصحابه، فدخلوا في دين الله، وتركوا عبادة الأصنام والأوثان.

فهؤلاء هم الغرباء، وهكذا في آخر الزمان هم الذين يستقيمون على دين الله عندما يتأخر الناس عند دين الله، عندما يكفر الناس، عندما تكثر معاصيهم وشروطهم يستقيم هؤلاء الغرباء على طاعة الله ودينه، فلهم الجنة والسعادة، ولهم العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة.

ويمكننا توضيح عمل الرابط الحجاجي " الفاء " في كلام خاتم الأنبياء " صلى الله عليه وسلم " وفق السلم الآتي:



#### 1-2-4- الرابط الحجاجي: "حتى":

وهي من أبرز أدوات السلم الحجاجي نظرا لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما لمعانيتها واستعمالاتها من سلمية، فأولها هو (حتى الجارة) التي تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب<sup>32</sup>، وهي: «الأول أن يكون ظاهرا في الغالب، والثاني: أن يكون آخر جزء، أو ملاق لآخر جزء، وأن يكون المجرورها داخلا فيما قبلها على الغالب، وأن يكون الانتهاء به أو عنده»<sup>33</sup>، وثاني استعمالها ما يعرف بـ (حتى العاطفة)، «ويراعي المرسل هنا شروط المعطوف، وهي شرطان الأول: أن يكون بعض ما قبلها كبعضه، والثاني: أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقيق»<sup>34</sup>

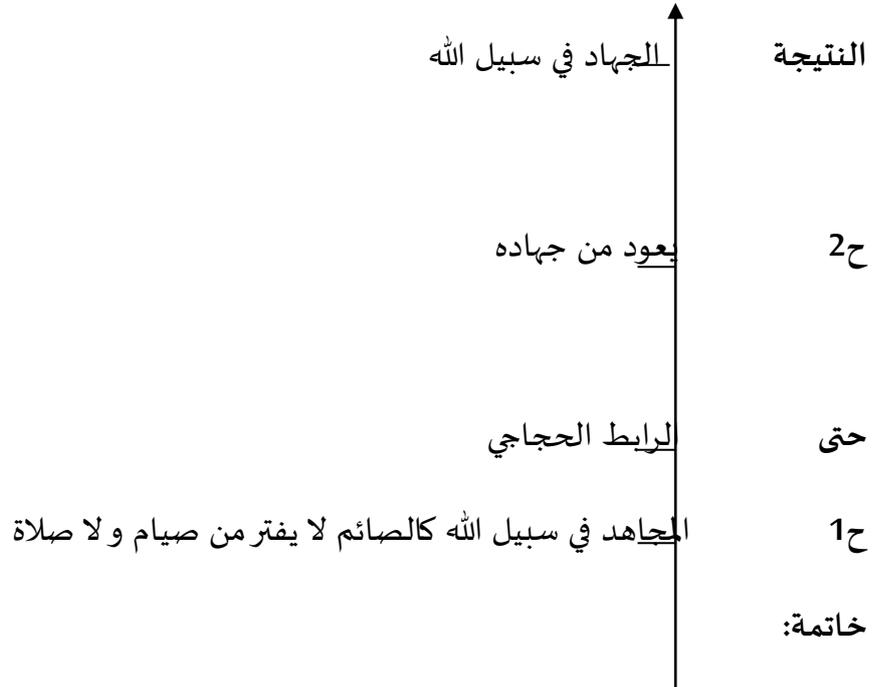
وقد قدم ديكرو DUCROT وأنسكومبر ASCOMBER وصفا للأداة "Même" المقابلة لـ "حتى" الحجاجية في اللغة العربية، فأقرا بأن «الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة،

أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتغل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي<sup>35</sup>.

ومن التمثيلات التي استعمل فيها النبي "صلى الله عليه وسلم" هذا الرابط الحجاجي نذكر قوله: ﴿مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى﴾<sup>36</sup>، لقد مثل النبي "صلى الله عليه وسلم" المجاهد في سبيل الله كممثل الصائم نهاره والقائم ليله، والجامع بينهما نيل الثواب في كل حركة وسكون، لأنّ المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب.

والرابط الحجاجي "حتى" هنا هو من الروابط المتساوقة حجاجيا والمدرجة للحجج القوية، فالحجة الأقوى في هذا الحديث هي تمثيل المجاهد بالصائم لا يضيع ثانية في اليوم إلا وكانت في مرضاة الله عزّ وجلّ، لنتيجة حجاجية قوية أيضا مفادها فضل الجهاد في سبيل الله.

ويمكننا تمثيله وفق السلم الحجاجي الآتي:



سعت الدراسة إلى استكشاف آليات الحجاج، وأدواته الإجرائية ومنطلقاته التأسيسية وقيمه المعرفية في التمثيلات النبوية، باعتبار ذلك العامل الأساسي الذي جعل الخطاب النبوي يحقق فاعليته الإقناعية؛ لأنّ الحجج المشكلة لمختلف التقنيات الحجاجية، و الروابط والعوامل والعلاقات الرابطة بين الحجج والنتائج تحمل في ذاتها طاقة حجاجية تجعلها أكثر قوة لحمل المتلقي على التسليم بما يعرض عليه من مفاهيم وأفكار.

ومن أهم النتائج التي سجلناها في مضامين هذا المقال نذكر:

- 1- إنَّ الخاصية البنائية للخطاب الحجاجي خاصة استدلالية يتم بها الانتقال من (الحجة) إلى (النتيجة)، والحجة هي الوحدة البنائية الأولى في العملية الحجاجية؛ لذا يشترط فيها أن تكون مناسبة وملائمة للخطاب وبنيته وتراتبته.
- 2- يؤدي التمثيل دورا حجاجيا بالغ الأهمية كونه يسهم في تقريب الصورة للمتلقى؛ فالنبي "صلى الله عليه وسلم" كان يستعمله بوصفه تقنية استدلالية حجاجية تدعّم الحجة بدرجات متفاوتة من العالم المتخيل إلى الواقعي المحسوس.
- 3- أسهمت الروابط الحجاجية إما في تساق الحجاج وتعاونها لتحقيق نتيجة واحدة، وإما تتعارض فيما بينها لكي تحقق كل منها النتيجة التي تريد الوصول إليها.
- 4- تهدف العوامل الحجاجية إلى تقييد الإمكانيات الحجاجية للقول وحصرها، وقد ورد في التمثيلات النبوية عاملان حجاجيان (م...إلا)، إنما في سياقات كثيرة حاول فيها "صلى الله عليه وسلم" أن يزيد من تركيز السامع ويعمل على جذبته للتفكير والاستقراء قصد الوصول إلى المعنى الصحيح دون لبس أو خطأ كما رسمه النبي "صلى الله عليه وسلم" في ذهنه.

#### الإحالات:

- <sup>1</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1/2012، ص 56.
- <sup>2</sup> : المرجع نفسه ، ص 55.
- <sup>3</sup> voir : Oswald.Ducrot , Les échelles argumentatives. Les Editions de minuit, 1980 p 16,17.
- <sup>4</sup> : رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية ، مقال ضمن كتاب: الحجاج ؛ مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ج2، مدارس وأعلام، ط1/2010، ص 234.
- <sup>5</sup> : أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1/2006، ص 27.
- <sup>6</sup> : ينظر: رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية ، مقال ضمن كتاب: الحجاج، ص 235.
- <sup>7</sup> : أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 28، 29.
- <sup>8</sup> : ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار المتاب الجديد، لبنان، ط1/2004، ص 519-520.
- <sup>9</sup> : أبو البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2/ 1998، ص 716-717.
- <sup>10</sup> : ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، الأردن، ط4/1997، ص 364.
- <sup>11</sup> : الجدعاء: هي الشاة المقطوعة الأذن، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص 250.

- <sup>12</sup> : رواه البخاري، عن حديث: أبو هريرة، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث: 1358، ص 280.
- <sup>13</sup> : رواه البخاري، عن حديث: سعد، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، رقم الحديث: 1877، ص 385.
- <sup>14</sup> : السكاكي، مفتاح العلوم، ص 291.
- <sup>15</sup> : عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 328-329.
- <sup>16</sup> : ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1/1998، ص 90.
- <sup>17</sup> : رواه مسلم، عن حديث ابن عباس، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة و الهبة إلا ما وهبه لولده وإن سفل، رقم الحديث: 1622، ص 806.
- <sup>18</sup> : رواه مسلم، عن حديث: أبي موسى، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، رقم الحديث: 2282، ص 1153.
- <sup>19</sup> : جاك موشلارو آن روبر، التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ط1/2003، ص 265.
- <sup>20</sup> : ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.
- <sup>21</sup> : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 472-473.
- <sup>22</sup> : ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.
- <sup>23</sup> : ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى و بل الصدى، المكتبة العصرية، لبنان، ط11/1983، ص 148.
- <sup>24</sup> : ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد معي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ط1/1991، ج 1/ ص 383.
- <sup>25</sup> : الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1/1992، ص 591.
- <sup>26</sup> : ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 509.
- <sup>27</sup> : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 512 عن Deborah schiffrin: dixourse markers, Cambridge university, 1992, p152,153:
- <sup>28</sup> : رواه البخاري، عن حديث: أبي هريرة، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم الحديث: 6446، ص 1312.
- <sup>29</sup> : ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 472.
- <sup>30</sup> : رواه البخاري، عن حديث: أبي موسى، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم الحديث: 6512، ص 1321.
- <sup>31</sup> : رواه مسلم، عن حديث: أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإيلاّم بدأ غريباً و سيعود غريباً، رقم الحديث: 145، ص 86.
- <sup>32</sup> : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 518-519.
- <sup>33</sup> : الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني، ص 543-544.
- <sup>34</sup> : المرجع نفسه، ص 547-548.
- <sup>35</sup> : أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص 73.
- <sup>36</sup> : رواه مسلم، عن حديث: أبي هريرة، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم الحديث: 1878، ص 959.